## السنة النبوية المصدر الثانى للتشريع

القرآن الكريم هو : ذلك الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ بلفظه ومعناه. المتعبد بتلاوته. المعجز ببيانه وشريعته. فكان معجزاً للعرب ببلاغته وبيانه وفصاحته. ولغير العرب بشرائعه وأحكامه وما يشير إليه من مظاهر الكون المختلفة أمر النبى ﷺ بحفظه وتعلمه والعمل بما فيه. كما أمر بكتابة ما ينزل منه عقب نزوله مباشرة حتي يجتمع للقرآن الكريم حفظه في الصدور. وكتابته فى السطور.

ولقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن كتابة غيره مما ينطق به لسانه حتى لا تختلط آيات القرآن بأحاديث النبي ﷺ. فلا يقدر الناس على التمييز بينهما وخاصة الأجيال التى سوف تجئ بعد انتهاء جيل الصحابة رضي الله عنهم.

فقد روى مسلم في صحيحه. أن النبى ﷺ قال:

«لا تكتبوا عنى. ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه. وحدثوا عنى فلا حرج. ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ولما أصبح لدي الناس القدرة علي التمييز بين آيات القرآن والسنة والتفريق بينهما. وكان قد مضى على أول ما نزل من القرآن نحو اثنين وعشرين عاما. أمن اللبس. حيث استقر أسلوب القرآن الكريم فى نفوس العرب. وأصبح أبسط رجل منهم يستطيع التمييز بين القرآن وغيره من أحاديث رسول الله ﷺ ومن فصيح كلام العرب أمر النبى ﷺ أبا شامة أن يكتب خطبة من خطبه فى عام فتح مكة المكرمة فكان هذا منه صلوات الله وسلامه عليه بداية الإذن بكتابة الحديث. ثم أذن للصحابى الجليل: عبد الله بن عمرو بن العاص [1] رضي الله عنهما بكتابة الحديث وتقييد العلم. كما أذن لغيره من الصحابة بذلك. ثم إنه عليه الصلاة

---

(١) أخرج البيهقى والدارمي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: كنت أكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ وأريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله. ورسول الله بشر يتكلم فى الرضا والغضب قال: فامسكت فذكرت ذلك لرسول الله فقال: «اكتب فو الذى نفسى بيده ما خرج منه إلا الحق» وأشار بيده إلى فمه الشريف.

والسلام وهو في مرضه الذي توفى فيه. قال: «إيتونى بكتاب أكتب لكم كتابا. لا تضلوا بعده».

وقبل أن يحضروا الكتاب صعدت روحه الطاهرة إلي الرفيق الأعلى. فلم يكتب الكتاب. وذلك تقدير العزيز العليم جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية. وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا. من أمم شتى. ومن أتباع آديان مختلفة – سماوية ووضعية – وكان من بينهم أولئك الذين دخلوا الإسلام. وفى نفوسهم منه أشياء. كونهم سلبوا في ظل الإسلام مناصب ورتبا دينية أو سياسية. فكان هؤلاء ومن علي شاكلتهم ممن لم يملأ الإيمان قلوبهم. يكثرون الأقاويل الدخيلة على الإسلام. ويضعون الأحاديث التى ينسبونها إلى رسول الله ﷺ زورا وعدوانا. وقد ساعد على ذلك موت كثير من الصحابة وتفرق بقيتهم فى الأمصار والأقطار.

فكانت تلك الظروف تطلب من المسلمين فى إلحاح ضرورة القيام بتدوين السنة صونا لها من الدخيل عليها. فكان للإسلام من بين أهله المخلصين الخليفة التقى الزاهد: عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فكتب إلي عماله وكبار علماء عصره «انظروا ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه. فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء».

فأقبل العلماء على تدوين الحديث. وكثر من صنف فيه، وكان جمعهم للحديث أولا مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. وكان ذلك على رأس المائة الأولى وفى بداية الثانية وكان هذا الجمع يتم دون تمييز بين الصحيح والسقيم. من ذلك كتابى الجامع والمصنف للإمام عبد الرزاق عالم صنعاء وشيخ علماء اليمن. المتوفى سنة (٢١١هـ) سمع منه الإمام أحمد رحمه الله ونقل عنه ومصنف عالم مصر ومحدثها الإمام الليث بن سعد المتوفى سنة (١٧٥هـ). وسنن ابن ماجة والنسائى والدارقطنى ومسند الإمام أحمد، ومسنداسحاق بن راهويه، ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند أبى حنيفة وموطأ مالك رحمهم الله جميعا وغيرهم، ومن هؤلاء العلماء من شغل نفسه

بجمع الصحيح فقط مما هو فى أعلى درجة الصحة، وهما: الإمام البخارى والإمام مسلم رحمهما الله تعالى .

**تعريف السنة :**

السنة لغة: الطريقة، واصطلاحا: أقواله ﷺ وأفعاله وأحواله، ووجه إكرامه ﷺ بها. أنها إنباء عن وحى أو إلهام من الله تعالى أو اجتهاد حق مطابق للواقع ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (١) [النجم: ٣].

وعلم الحديث بنوعيه يختص بدراسة السنة الشريفة. دراية، ورواية.

**فالنوع الأول**: هو علم الحديث دراية. وقد عرفه شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصارى رحمه الله فقال: وهو علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد .

**وموضوعه**: الراوى والمروى من حيث ذلك. وغايته : معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك .

**ومسائله**: ما يذكر فى كتبه من المقاصد.

**والنوع الثانى**: هو علم الحديث رواية. وعرفه الكرمانى في شرح البخارى بقوله:

علم يعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله. قلت: وكذا تقريراته وما أضيف إليه من وصف كونه ليس بالطويل ولا بالقصير – شمائله – أو أياما. كاستشهاد عمه حمزة رضى الله عنه بأحد. ويعرف به أقوال وأفعال من دونه من صحابى وتابعى. وكان عليه – أى الكرمانى – ذكره. لأن علم الحديث يطلق على هذا كله .

**وموضوعه**: ذات رسول الله ﷺ من حيث إنه رسول، وغايته الفوز بسعادة الدارين (٢).

---

(١) فتح المبين: ٢٤.

(٢) الفتوحات الربانية جـ١ ص ٢٥، ٢٦

ولعلماء الحديث كلام حول هذا التعريف. ليس هذا موضوعه ولكن يطلب من كتب علوم الحديث وهذا ما يهتم به أهل العلم والباحثون فى علوم السنة الشريفة.

ولكن غايتنا إعطاء فكرة موجزة عما يتعلق بالسنة بغرض التمهيد لموضوع الكتاب فحسب.

## وجوب اتباع السنة:

السنة هى المصدر الثانى من مصادر الشريعة الإسلامية. فكما فرض الله عز وجل علي الناس الإيمان برسوله ﷺ. فقال تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٢].

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فى تفسيرهما:

فجعل دليل ابتداء الإيمان – الذى ما سواه تبع له – الإيمان بالله ثم برسوله ﷺ فلو آمن به عبد ولم يؤمن برسوله ﷺ. لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدا. حتى يؤمن برسوله ﷺ معه [١]. اهـ.

فالله سبحانه وتعالى وهو الذى فرض على الناس الإيمان برسوله ﷺ فهو كذلك فرض على المسلمين جميعا اتباع سنته. لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى قال تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه: وفرض الله تعالى

(١) أحكام القرآن جـ١ ص ٢٨.

على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله ﷺ . فقال في كتابه ﴿ **ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [البقرة: ١٢٩] . وقال تعالى : ﴿ **لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] . وقال تعالى : ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

قال رضي الله عنه : فذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن . وذكر الحكمة . فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ﷺ . وهذا يشبه ما قال – والله أعلم – بأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة . وذكر الله ( عز وجل ) منته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة . فلم يجز – والله أعلم أن تعد الحكمة ههنا إلا سنة رسول الله ﷺ . وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله . وأن الله أفترض طاعة رسول الله ﷺ . وحتم على الناس اتباع أمره . فلا يجوز أن يقال لقول : فرض . إلا لكتاب الله . ثم سنة رسول الله ﷺ مبينة عن الله ما أراد دليلا على خاصة وعامة ثم قرن الحكمة بكتابه فأتبعها إياه . ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسول الله ﷺ ثم ذكر الشافعي الآيات التي وردت في فرض الله عز وجل طاعة رسوله ﷺ . منها : قوله عز وجل : ﴿ **يا أيُّها الَّذين آمنوا أطيعُوا الله وأَطيعوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْر منكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] . وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى :

﴿ **فإن تنازعتم في شيء** ﴾ يعني – والله أعلم هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم . ﴿ **فردُّوه إلى الله والرسول** ﴾ [النساء : ٥٩] يعني – والله أعلم – إلي ما قال الله والرسول إن عرفتموه . وإن لم تعرفوه سألتم رسول الله ﷺ عنه إذا وصلتم إليه . أو من وصل إليه . لأن هذا الفرض لا منازعة لكم فيه . لقول الله عز وجل : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فيقول : ومن تنازع ممن بعد عن رسول الله ﷺ . رد الأمر إلى قضاء الله . ثم

إلي قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصا فيهما، ولا فى واحد منهما، ردوه قياسا على أحدهما .

ثم يقول فى معنى قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣ ].

قال : إنه يهدى إلي صراط مستقيم. صراط الله. وفيما وصفت – من فرض طاعته – ما أقام الله به الحجة علي خلقه بالتسليم لحكم رسوله واتباع أمره، « فما سن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم. فحكم الله . سنته »[1] اهـ.

وقد أجمع المسلمون منذ عصر الصحابة إلي عصرنا هذا على وجوب اتباع سنة النبى ﷺ ولا ينازع في هذا إلا جاهل أو حاقد أو عدو فاجر .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ( إذا ثبت الخبر عن النبى ﷺ وجب العمل به ) وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : ( الحكم حكمان، حكم جاء به كتاب الله، وحكم أحكمته السنة، ثم قال : ومجتهد رأيه، فلعله يوفق ) .

فمن أنكر السنة فهو كافر لإنكاره المصدر الثانى من مصادر الشريعة والذى أمرنا الله عز وجل باتباعه والعمل به. قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾. ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ فاقسم الله سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه عز وجل على أنه لا يثبت لهم إيمان ولا يكونون من أهله حتي يحكموا الرسول ﷺ في جميع موارد النزاع فى جميع أبواب الدين[2]. يقول ربنا عز وجل : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر : ٧ ].

---

( ١ ) أحكام القرآن جـ١ ص ٢٨ - ٣١ بتصرف

( ٢ ) موارد الظمآن جـ١ ص ٢٧٧ .

فهذا تفويض من الله لرسوله ﷺ . وهذا آكد فى وجوب اتباعه لأن هذا أمر ضرورى . لأن السنة إما موضحة لمبهم القرآن أو مفصلة لمجمله أو مفسرة لمتشابهه أما أولئك الذين ينكرون حجية السنة . فإنا نقول لهم ما قاله لهم من قبل . الحافظ أبو بكر بن حزم رحمه الله تعالى :[1]

( فى آي قرآن وجدتم أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع والسجود علي صفة كذا، وصفة القراءة فيها، والسلام . وبيان ما يجتنب فى الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة والغنم والإبل ومقدار الأعداد المأخوذة من الزكاة، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة وصفة الصلاة بها، وبمزدلفة ورمى الجمار وصفة الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع يد السارق وما يحرم من المآكل، وأحكام الحدود وأحكام البيوع وبيان الربا، إلى أن قال : ولو أن امرأ قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن، لكان كافرا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة واحدة ما بين دلوك الشمس إلي غسق الليل وأخرى عند الفجر . اهـ ) .

وروى القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادى الحنبلى رحمه الله تعالى قال : قال عبد الله بن أحمد بن حنبل ( رحمهما الله تعالى ) قال أبى – أى الإمام أحمد – : قواعد الإسلام أربع : دال ، ودليل ، ومبين ، ومستدل .

**فالدال** : الله تعالى . **والدليل** : القرآن . **والمبين** : الرسول ﷺ . قال الله تعالى ﴿ **لِتُبيِنَ للناس ما نُزِّلَ إليهمْ** ﴾ .

**والمستدل** : أولوا الألباب . وأولوا العلم الذين يجمع المسلمون على هدايتهم ولا يقبل الاستدلال إلا ممن كانت هذه صفته »[2] .

**والحديث قسمان : قدسى ، ونبوى .**

**فالحديث القدسى** : هو ما يقوله الرسول ﷺ حاكيًا عن الله عز وجل مثل

---

( ١ ) الأحكام جـ٢ ص ٧٩ ، ٨٠ .

( ٢ ) العدة فى أصول الفقه جـ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

قوله: « يقول الله عز وجل. أو قوله : أوحى إلى. أو قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى : وقد اختلف العلماء فيه. قال بعضهم :

ومعناه من عند الله ولفظه من عند الله أيضًا – علي المشهور – فهو كلام الله. غير أنه ليست فيه خصائص القرآن الكريم التى امتاز بها عن كل ما سواه. فليس معجزا. وليس متعبداً بمجرد قراءته وتصح روايته بالمعنى، وقراءة الجنب له وحمله ومسه.

وقال آخرون: إن معناه من عند الله ولفظه من عند رسول الله ﷺ.

والحديث القدسى أو الحديث الربانى أو الحديث الإلهى– كما يسميه البعض – ورد فى الفضائل وفى الزهد والرقائق. ولذا يستدل به الصوفية كثيرا.

**وأما الحديث النبوى** : فهو كلام رسول الله ﷺ ومعناه من عند الله ولفظه من عند رسول الله ﷺ. وليست ألفاظه مناط إعجاز. ومن هنا تجوز روايته بالمعنى[1].

والحديث بقسميه يختلف عن القرآن الكريم. لأن القرآن منزل بلفظه ومعناه على رسول الله ﷺ بطريق الوحى وهو معجز ببلاغته وفصاحته وشريعته ومتعبد بتلاوته.

* * *

(١) قبسات من السنة ص ١٥ بتصرف.